انطلاقة

رغم الاعتقاد السائد –والصحيح– بأن مرحلة الطفولة هي مرحلة البناء التربوي للفرد ومرحلة التأسيس الدعوى السليم للحركة التربوية، وأن المرحلة الجامعية هي مرحلة النضج والاستقلالية وحرية اتخاذ القرار والقدرة على التأثير، إلا أن مرحلة المراهقة –وهى مرحلة تشغل طبقا للدراسات– مساحة عمرية من ٧–١٠سنوات من عمر المراهق، ودعويا ثلاث سنوات –هي عمر المرحلة الثانوية– تمثل عنق الزجاجة سواء لتنشئة الفرد أو لمستقبل الدعوة. فهي مرحلة التشكيل النهائي لكل الأفكار والقيم المكتسبة خلال مرحلة الطفولة، بعد تفاعلها مع الواقع وصراعها معه لتتخذ الشخصية قرارها شبه النهائي بكيفية الاستمرار في الحياة وفلسفة التعامل مع المستقبل.

والواقع يشهد بأن نتيجة هذه الصراعات لا تصب بحال في مصلحة الدعوة، إذا استندنا إحصائيا إلى كم الجهد المبذول في مرحلة الطفولة مقارنة بالناتج النهائي من المرحلة الثانوية – تجاوزاً أو مرحلة المراهقة تحديداً.

فعلى أفضل تقدير أن ٢٥٪ من القاعدة هم الذين قد نجحنا في جعلهم يتخذون القرار بالاستمرار في الاتجاه المنشود، فإن ٧٥٪ من هذه القاعدة يكون قد انفلت من تحت أيدينا ليستقبل بعدها ثقافة المجتمع السائدة بالهزيمة والسلبية وما يتبع ذلك من سلوكيات تشكل عبئاً على عملنا التربوي فيما بعد.

وربما كان من الصعب علينا أن نتصور أن عدداً ليس قليلاً من الذين لم نستطع أن نقنعهم أو يقنعونا بالاستمرار واستكمال الطريق، سيمثل عامل دعوة سلبي ولكن في الاتجاه المضاد.

ما سبق يعنى أن مسئولي العملية التربوية في مرحلة المراهقة هم المسئولون مسئولية مباشرة عن دخول أفراد جدد للحركة التربوية، لأنهم ببساطة مسئولون عن مرحلة اتخاذ القرار.

obeikandl.com

ولا نريد بهذا الكلام أن نحمل مسئولي المرحلة مالا يطيقون، فهم أحد عوامل التربية بجانب الأسرة والمدرسة والشارع والإعلام. إننا نقصد من هذا الطرح أن نثبت أهمية الأمر وخطورته سواء على مستوى تربية الفرد أو على المستوى الدعوى.

وإذا كنا قد وصلنا إلى هذه النتيجة، أرى أنه من واجبنا أن نطرح على أنفسنا سؤالاً مهماً:

هل تم الاهتمام بهذه المرحلة المهمة والخطيرة من ناحية إعداد المناهج الخاصة بها والبرامج الواضحة التي تتناسب مع روح العصر وتطور الأفكار وتغير العالم من حولنا؟

ومع الاعتراف بالجهد المبذول في مضمار إعداد المناهج وبرامج العمل التنفيذي في هذه المرحلة، إلا أنها لا تخرج عن كونها محاولات للوقوف على بوابتها دون الدخول بعمق في تفاصيلها الدقيقة بمتغيراتها والمطلوب منها.

ونحن في هذا الدليل لا ندعى أننا وفينا هذا الجانب، فهو عمل يحتاج إلى كتيبة من المحترفين تعمل بجد وإخلاص لسنوات لتفي بكل متطلبات المرحلة، إلا إننا بهذا العمل نفتح الطريق للبحث والتنقيب بصورة تمكن المشرف التربوي من إتمام عمله بدقة وإتقان، وتقرب المسافات بينه وبين الأفراد المنوطين بالدعوة، وتحمل عنه عبء التفكير والبحث في أعمال ليست من صميم عمله التنفيذي.

إن هذا الدليل يمثل انطلاقة لكل المجتهدين لاستكمال ما احتاجه العمل من سنوات طوال،ويمثل نقطة بداية قوية لمن كان لديه الرغبة القوية في بدء مثل هذا العمل، ولكن عاقته الظروف ولم تقف بجانبه الأسباب.

فليكن هذا العمل فاتحة خير لأعمال أكبر وأفضل.

١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥م

obeikandl.com